مطبوعات حديثة

خطط الشام

« تأليف السيد محمد كرد علي طبع بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٣ — ١٩٢٥
الجزء الثاني : ص ٣١٧ »

سبق ان وصفنا هذا السفر النفيس في الكلام عن الجزء الاول ، وبين أيدينا الآن الجزء الثاني وهو يتناول تاريخ سبعة قرون — من أواخر الربع الاول من القرن السادس الهجري (٥٢٢) الى أواخر القرن الثاني عشر (١١٩٨) فبدأ بالدولة النورية (نسبة الى نور الدين زنكي) ٥٢٢—٥٦٩ . ثم الدولة الصلاحية (نسبة الى صلاح الدين بن ايوب) ٥٦٩—٥٨٩ . ثم الدولة الايوبية (اي سائر بني أيوب ممن تولوا السلطنة او الملك) ٥٨٩—٦٣٧ وكأن المؤلف أفرد صلاح الدين بالذكر وجعله بنفسه دولة مستقلة عن بني أيوب وهو منهم ، تنويهاً بذكره ، وان كان ذكرهم جميعاً ، وجعلهم دولة واحدة لها نسبة واحدة ، أفضل في ما نرى . ثم انقراض الايوبيين وظهور دولة المماليك البحرية وظهور التتر ٦٣٧—٦٩٠ . ثم دولة المماليك ٦٩٠—٨٠٣ ثم عهد المماليك الاخير ٨٠٣—٩٢٢ . ثم الدولة العثمانية ٩٢٢ — ١٠٠٠ . ثم العهد العثماني من ١٠٠٠—١١٠٠ فالعهد العثماني من ١١٠٠—١٢٠٠ وفيه خاتمة هذا الجزء .

ولقد جمع هذا الكتاب حوادث هذه القرون جمعاً كاد يكون شاملاً . ومعلوم ان هذه الازمنة هي من اكثر ما نحتاج اليه في دراسة تاريخ هذا القطر العزيز . ففيها كان معظم الحملات الصليبية . وفيها تغلبت الأجيال الطارئة على الشام واستصفت الحكم من أيدي العرب فلم يبق لهؤلاء من الامر الا قليله ومن الدول بل الاقطاع ، الا الشيء اليسير مما لا يعتد به وقد لا يطمع فيه . وفيها كانت فتن مذهبية ، اقتتل من أجلها ابناء الوطن الواحد ، بل الدين الواحد ، وفيها ايضاً عدّ الملوك انفسهم اصحاب الملك ، فكانوا يقسّمون الوطن الواحد اقساماً ، يوصون بكل قسم منه لولد من اولادهم — فعل الرجل بماله بين بنيه . فكان من جراء هذا كله ، ان اشتد الخلاف بين اهل البلاد فاستحكمت حلقات الانقسامات السياسية ، واستفحل امر المنازعات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدينية ، فتقطعت أوصال هذا القطر ، بعد ان كان الدين الاسلامي قد نسج شمله السياسي ، والفتح العربي قد حاك وحدته القومية ، او كادا . ولعل هذه التجزئة القتالة ، التي لا تزال تمضنا آلامها ، وتعمل السياسة على نكء جراحاتها ، الحين بعد الحين ، نتيجة لتلك الحالة الغابرة . ونرى انه لا يتم لهذا البلد وحدة قومية متماسكة الاجزاء ، متوطدة الأركان ، لا تفعل بها دسائس السياسة أفاعيلها ، الا اذا عرف اصل الداء فعولج بناجع الادواء . فجمع حوادث هذا القطر ، من نضاعيف كتب الغرب والشرق ، وعرضها صورة ناطقة تمثل حالة البلاد على نحو ما فعله الاستاذ ، مسعى جليل ، وخدمة قيّمة ، في سبيل الغرض الذي أشرنا اليه . وأجاد المؤلف ايما اجادة في وصف الدولة العثمانية بعهديها : الحادي عشر والثاني عشر . فمثلها تمثيلاً سوياً . حتى ليخيل اليك انك تراها بعينك وتشهد فظائعها بنفسك .

ومما هو حري بالاعتبار ، ان هذا الكتاب على ماجمعه من حوادث الديار الشامية ، وما تعرض له من ذكر لبنان ، ولا سيما ايام بني عثمان ، لم يرد فيه شيء يدل على هذا الاستقلال الذي يزعمه له بعض منا نحن ابناء لبنان ، حتى ولا نزعة من القائمين كانوا بأمره الى مثل ذلك ، ليجعلوا هذا الجبل قائماً بنفسه ، منفصلاً عن هذا القطر الذي هو جزء منه ، وتتمة له .

ومما يجوز ان يؤاخذ به الاستاذ انه جرى في كلامه عن الفرق الاسلامية مجرى مؤرخي تلك العصور التي كتب تاريخها . يوم كان هؤلاء ينكرون الاسلام على من فارق مذهبهم وخالف رأيهم ، ولو انه اتخذ الاسلام ديناً ، وعالن به على رؤوس الاشهاد . وهذا كما لا يخفى اسلام ابتدعته عصور التعصب غير الاسلام الديني الاجتماعي الذي عرفه صاحب الرسالة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) ، ودعا اليه . ولا احسب انه يرد على ذلك ان ما كُتب انما كُتب عن تلك الايام ، ما دام قد كُتب لهذه الايام .. من ذلك انه قال عن آل نوخ وآل معن انهم كانوا « حجازاً في أعالي سواحل لبنان او جبال فنيقية (كذا) بين املاك الصليبيين واملاك صاحب دمشق .. ولذلك كان يتنازعهم المستولي على دمشق والمتولون للساحل . ولكن خدمتهم للمسلمين اكثر بالطبع وهواهم مع ابناء دينهم » . وهذا صحيح مشهور .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم قال : « وعلى نحو ذلك كان الدروز وقد قاتلوا في صفوف المسلمين فأظهروا من الشجاعة والنجدة ما تقر به العيون » . ففي هذا الكلام فضلاً عما تقدمت الاشارة اليه اخراج لبني لنوخ وبني معن عن الفرقة الدرزية التي عرفوا بها . واذا كان ابن معن قد اختلف في مذهبه اختلافاً لا قيمة له في ميدان التحقيق التاريخي . فلنوخ لبنان لم يكن مذهبهم موضع خلاف البتة . ولو انه قال : « وعلى نحو ذلك كان سائر الدروز » كان ثمة موضع للنظر . ومثله ما قاله بعد ذلك عن فخر الدين بن معن . ولا يعلل قتال الدروز للصليبيين ولا سيما من كان منهم في ساحل لبنان وما اليه مما كان في قبضة الصليبيين ، الا بعامل الاسلامية . كما قال المؤلف عن الموارنة : « كان هوى الموارنة لمكان الدين مع الصليبيين » .

وكنا نود ان الاستاذ الرئيس أضاف الى هذا الكتاب مصورات جغرافية تعين على فهم الحوادث وتعرف منها مواطن المواقع . او في أقل ما يكون — ان تترجم اسماء بعض المواضع ولا سيما الحصون التي يرد ذكرها اثناء الكلام وليس لها من الشهرة في هذه الايام ما يهدي الى مواقعها . وكان من المفيد لو وضع للاسر الحاكمة شجرات يرجع اليها في معرفة الانساب ، فتجعل حداً لهذا التشويش التاريخي الذي تجره تلك الاسماء المتقاربة ، والالقاب المتماثلة التي كان يكثر التلقب بها . وان تُضبط الاعلام ولا سيما الاعجمية حتى يعرف صحيح لفظها . وان تفسر بعض المصطلحات الغريبة مما لا عهد للعرب بها من قبل ولا معرفة لنا بها اليوم .

هذا ما رأيت ان الفت اليه نظر الاستاذ فلعله يستدرك في طبعة جديدة ماعسى ان يراه حرياً بالنظر . فيزيد في قيمة الكتاب ، ويضيف الى حسناته حسنات .

عضو المجمع العلمي
عارف النكدي

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net